

## جَزَاؤُهُ

### الَّذِينَ مُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

المهنداس  
عبدالرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

﴿ وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [يونس : ٦٠]

.. الكذب على الله تعالى ليس كالكذب على من هو دونه ، إضافة لعدم تقوى الله تعالى والافتراء عليه ، فإن الكذب على الله تعالى ينتج سوءاً يتم احتسابه من منهج الله تعالى زوراً وبهتاناً ، وهذا يؤدي إلى الإساءة لمنهج الله تعالى بتشويه دلالاته في نفوس الناس ، وإلى خداع الناس وإضلالهم ..

.. وتتجلى الإساءة لمنهج الله تعالى حينما تكون الأمور المكذوبة تتعلق بدماء الناس وكراماتهم ، من أحكام تُمنهج الاعتداء على الآخرين ، وتعطي أصحاب النفوس المريضة الاعتقاد بأنهم يملكون التفويض من الله تعالى لقتل الناس والاعتداء على كل ما هو إنساني في حياتهم ..

## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢

.. وكثيرة هي الأمور التي تمّ تلفيقها ظلماً وعدواناً على منهج الله تعالى ، إمّا بافتراء روايات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وإمّا بتحريف دلالات بعض النصوص القرآنية لتوافق هوى المرض الكامن في نفوس المُفترين ..

.. في هذا البحث سنقف عند نصّ كريم ، لم يُفسّر خلال التاريخ في سياقه السليم الذي يجب أن يُفسّر به ، فلويت دلالاته باتجاهٍ سلمي ، ممّا جعل أصحاب النفوس المريضة من المحسوبين على الإسلام ، يستخدمون ذلك كمبررٍ لممارسة الإرهاب الكامن في جيناتهم النفسية ، وممّا جعل أعداء الإسلام يستشهدون بهذه التفاسير الخاطئة للهجوم على كتاب الله تعالى والنيل منه ..

.. هذا النصّ الكريم هو قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ المائدة : ٣٣ - ٣٤ ]

.. قبل الدخول في تفسير دلالات هذا النصّ الكريم ، لا بدّ من الوقوف عند سنّة الله تعالى التي لا تتبدّل ولا تتحوّل ، والتي يحملها كتابه الكريم بشكلٍ جليّ لا لبس فيه .. هذه السنّة هي أنّه لا تكليف من الله تعالى للبشر بأخذ عقوبة دنيوية ، وذلك في كلّ المسائل المتعلقة بالعقيدة ، وبحريّة الاختيار الديني والمذهبي .. فكلّ العقوبات الدنيوية التي ترد في كتاب الله تعالى تكليفاً بالقيام بها ، لا تتجاوز كونها جزاءً على جنایات هتكت حرمة أعراض الناس ، وأمواهم ، ودمائهم ..

.. فمن يكفر بالله تعالى لا يُحاسب - على مجرد كفره - في الدّنيا من قبَل البشر ، إمّا حسابه على الله تعالى ، حيث الآخرة بانتظاره ..

﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٣

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [ الكهف : ٢٩ ]

.. وحتى من يتنقل بين الإيمان والكفر ، حتى موته ، أمره إلى الله تعالى ، وعقوبته - على مجرد نفاقه وكفره - موكولة إلى الله تعالى ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيبَتْ لَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [ النساء : ١٣٧ - ١٤٠ ]

.. وهذا لا يعني أن محاربة الله تعالى ورسوله عقدياً ، والكفر بالله تعالى ، والنفاق ، هو أمرٌ سهلٌ وبسيطٌ .. أبداً .. جزاء الله تعالى على من يكفر به ويحارب منهجه ، هو عنده جلٌ وعلا ، ولم يُؤكله للبشر ..

.. لذلك نرى في كتاب الله تعالى عقوبة - دنيوية - على جناية الزنا ، وعقوبة على جناية الإتيان بالفاحشة ، وعقوبة على جناية رمي المحصنات ، وعقوبة على جناية السرقة ، وعقوبة على جناية الاعتداء على دماء الآخرين ..... وفي كل ذلك تأكيدٌ على حرية المعتقد ، وأن يختار الإنسان ما يريد في عقيدته حرراً ، شريطة ألا يتعدى على حريات الآخرين وحقوقهم .. فالعقوبات الصريحة في كتاب الله تعالى فرضت لحماية الإنسان ،

## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٤

وليس لفرض شيءٍ عليه ، وفي كلِّ ذلك تتجلى حكمة الله تعالى في تأمين حرية الإنسان ليختار دون إكراه ، وذلك من أهم مقتضيات الامتحان العادل للإنسان في حياته الدنيا ..  
.. فسنة الله تعالى التي لا تبدل ولا تتحول في منهجه الكريم تقتضي تكليف المجتمع بمعاينة مرتكبي الجنايات ضد الناس ، مهما كان الجاني ، ومهما كان الضحية .. وفي ذلك حكمة لمنع انتشار الجنايات في المجتمع حفاظاً على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم ، كلِّ الناس ، مهما كانت معتقداتهم ومذاهبهم وطوائفهم ، مؤمنين كانوا أم كافرين ..  
.. بينما .. حقُّ الله تعالى في اعتقاد الإنسان وإيمانه كفره ، يحاسب الله تعالى هو عليه ، ولم يوكله للناس ، لأنَّ الله تعالى هو فقط هو العالم بحقيقة إيمان الناس وكفرهم ..  
ولذلك يأمرنا الله تعالى بأن لا نصف أيَّ إنسان بأنه ليس مؤمناً ، كون الإيمان حقيقة في القلب لا يعلمها إلا الله تعالى ..

## ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ ﴾

الذَّيْبَا ﴿ النساء : ٩٤ ﴾

.. إذا .. علينا أن نُميز في كتاب الله تعالى بين عقوبتين اثنتين :

١ - عقوبة على الجانب العقدي من كفر ونفاق وشرك .. وهذه العقوبة موكلة إلى الله تعالى ، ولا علاقة للبشر بها .. فالله تعالى الذي ضمن حرية الاختيار في الحياة الدنيا ، وبأنه لا إكراه في الدين ، لا يأمر البشر بمعاينة بعضهم على قضية ضمنها جلٌّ وعلا لهم .. فكيف من الممكن أن يأمرهم على معاينة بعضهم في المسائل العقدية التي مكأها قلب الإنسان ، ولا يعلم حقيقتها إلا هو سبحانه وتعالى ، ويعلم سبحانه وتعالى أن كلاً منهم يزعم أنه هو فقط هو من يسير على الصراط المستقيم الذي ينتمي إليه .. فمع كون حرية المعتقد إيماناً وكفراً من ضروريات عدالة الامتحان الذي خلقت الدنيا لأجله ، فإنَّ محاسبة البشر لبعضهم على مسائل اعتقادهم ستدخل المجتمعات في فوضى واقتتال وتيه لا نهاية له ..

٢ - عقوبة على الجنايات التي يرتكبها البشر بحق بعضهم بعضاً .. وفي هذه العقوبة ، علينا أن نُميِّز بين وجهين اثنين :

أ - عقوبة يُكَلِّفُ اللهُ تعالى بها المجتمع لإيقاع الجزاء بالجاني ، كالجزاء الذي يُؤخذ من الجاني على جنایات : القتل ، والزنا ، والسرقه ، ورمي المحصنات ، والإتيان بالفواحش ..... وهذه العقوبة هي على فعل الجاني ، ولا تسقط بتوبته ، لأنّها من حقّ المحني عليه ، ولا علاقة للتوبة بذلك ..

.. وهذه العقوبة بيّن الله تعالى في كتابه الكريم أطرها وحدودها التي يتحرك ضمنها المجتمع ، ضمن معطياته الحضاريّة في كلِّ زمانٍ ومكان .. وهي عقوبة على فعل الجناية ، وليست على مبدئها ونية الجاني فيها ، لذلك لا تنفع معها التوبة ، فسواء تاب الجاني أم لم يتب ، فإنَّ حقَّ الضحيّة محفوظ ، وعلى المجتمع أن يأخذه له من الجاني ..

.. وهذا الوجه من العقوبة على الجناية يتناسب مع حقّ الضحيّة .. لذلك نرى الحدود العامّة للعقوبات عليها في كتاب الله تعالى ، ليست قاسية كثيراً ، وتتناسب مع طاقة البشر ، فقتل القاتل ، وجلد الزاني ، وقطع يد السارق ( وفق المفهوم القرآني وليس روايات التاريخ وتفسير الموروث ) ، وجلد من يرمي المحصنات ، وإيذاء من يأتي الفاحشة ..... كلُّ ذلك حدود ليست قاسية وضمن استطاعة البشر ..

ب - عقوبة من الله تعالى على هذه الجنايات ، وهذه العقوبة يأخذها الله تعالى .. وجزاء الله تعالى عليها يتعلّق بعلم الله تعالى بنية الجاني ، وبدرجة كونها منطلقة من شهوة عابرة ، أو من منطلق عقدي ، أو من نية مُسبّقة ، أو ..... فالله تعالى هو فقط هو من يعلم حقيقة الدافع وراء تلك الجناية ..

.. لذلك فهذه العقوبة المبنية على علم الله تعالى بالمبدأ والنية التي انطلق منها الجاني في جنائته ، قد يغفرها الله تعالى إن تاب الجاني توبة صادقة ، حيث الله تعالى هو فقط هو من يعلم صدق التوبة من كذبها .. وهذا الجانب من العقوبة هو حقُّ الله تعالى ، وليس

## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٦

حقاً للضحية ، فحق الضحية محفوظ وقد كلف الله تعالى به المجتمع ليأخذه له كما رأينا في الوجه الأول ..

.. ولما كان هذا الوجه من العقوبة على الجنايات يتعلق بحق الله تعالى العالم علماً مطلقاً بحقيقة نفس الجاني ، فإن جزاءه للجاني ، المتناسب مع حقه جلّ وعلا ، يتأرجح بين حدّين واسعين جداً .. إما عقوبة قاسية جداً تتعلّق بحق الله تعالى الكبير ، وإما عفو لمن يتوب توبة صادقة لوجهه تعالى .. وهذا الاتساع يتعلّق بكون الجناة مرتكبي ذات الجناية ، يتأرجحون - في قصدهم ومبدأ انطلاقهم في جناياهم - بين هذين الحدين الواسعين ..  
.. بعد هذا التبيان .. لنعد إلى النصّ الكريم الذي نحن بصدد تفسيره ..

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ المائدة : ٣٣ - ٣٤ ]

.. العبارة القرآنية : ﴿ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ تشمل كلّ الموصوفين بهاتين الصفتين مجتمعتين ، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، فهي تشمل الجانب العقدي : ﴿ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، وجانب الجنايات التي تنشر الفساد في الأرض : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ ..

.. وفي كلمة ﴿ يُحَارِبُونَ ﴾ نرى دلالات الاستمرار في الحرب على كلّ القيم النبيلة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وعلى كلّ القيم النبيلة التي جاء بها منهج الرسالة الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ، وفي كلمة ﴿ وَيَسْعَوْنَ ﴾ نرى دلالات استمرار السعي

## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٧

في الفساد في الأرض ، من جنایات يقومون بها بحقّ الناس كلّ الناس مهما كانوا ....  
فكلّ ما هو ليس نافعاً وكلّ ما يضرّ بالإنسان وقيمه ، هو فاسد ..

.. وفي تكرار كلمة ﴿ أو ﴾ بين حالات الجزاء ، في قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ .. في ذلك ..

بيان في اختلاف الأحكام التي يستحقّها هؤلاء كجزاء على جنایاتهم المختلفة المرافقة

لمحاربتهم الله تعالى ورسوله : ﴿ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ ،

وذلك حسب جنایة كلّ منهم ، وحسب درجة كلّ منهم في محاربة الله تعالى ورسوله ،

وحسب نيّته ، وحسب المبدأ الذي انطلق منه الجاني في جنایته ... وبالتالي فنحن أمام

جنایات متعدّدة ودرجات محاربة متعدّدة ، وبالتالي فالجزاء يكون بدرجات مختلفة ..

.. وقوله تعالى .. ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، يؤكّد لنا أننا أمام جنایات ودرجات محاربة لله تعالى ورسوله ، عُفْرَانُهَا

- عند الله تعالى - يحتاج إلى توبة ، وجزاؤها - عند الله تعالى - لا يسقط إلا بتوبة

المُحَارِبِ الجاني قبل أن يُقدّر عليه ... فالعبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ، تؤكّد أنّ التوبة المعنيّة لا بدّ أن تكون صادقة ، وليست بسبب كون

المُحَارِبِ الجاني قد وقع في قبضة العدالة ..

.. هذا كلّه لا خلاف عليه .. ووقفنا عنده في كتاب : ( المعجزة الكبرى ) ، وفي

كتاب : ( الدولة الحرّة مطلب قرآني ) .. فلا شكّ أنّ مرتكبي الجنایات لا بدّ من

معاقبتهم في الحياة الدنيا وأمام الناس ، قبل الجزاء المترتب على تلك الجنایات في الآخرة

والمتعلّق بحقّ الله تعالى ، وفي ذلك حفاظ على دماء الناس وأعراضهم وكراماتهم وأموالهم

وخصوصياتهم ..

.. فلو كان الجزاء على الجنايات بحق البشر لا يكون إلا من الله تعالى ويؤجل إلى الآخرة ، كما هو الجزاء على الكفر ومحاربة منهج الله تعالى ، لتمادي المجرمون بجرائمهم ، ولسادت الجريمة في المجتمع دون رادع .. إضافة لعقاب الله تعالى على الجنايات في الآخرة ، شرع الله تعالى عقوبة دنيوية تُطبَّق على الجاني ، لردع كل من تسوَّل له نفسه في الاعتداء على كرامات الناس وأعراضهم وأموالهم ودمائهم ..

.. والجزاء الدنيوي الذي أوكله الله تعالى للبشر ، لأخذه من الجاني في الدنيا ، يتناسب مع درجة الجناية ، فكلما كبرت الجناية كبر الجزاء .. وهنا .. وفي حالات خاصة جداً ،

حيث الجنايات كبيرة جداً ، من الممكن اعتبار الجزاء القاسي ﴿ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ

تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ مؤشراً يستأنس به كجزاء

لمن يستحقونه ، ممن ارتكبوا جنايات كبيرة ، تستحق هذا الجزاء القاسي ، فالجزاء على قدر الجناية ، والجنايات الكبيرة جزاؤها كبير ..

.. لكن .. ما أودَّ إلقاء الضوء عليه في هذا البحث ، هو الإجابة على السؤال التالي :

.. هل الجزاء المذكور في هذا النصِّ الكريم : ﴿ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ ، وبإطاره العام ، بعيداً عن الخصوصية

التي ذكرناها ، هل هو - حصراً - الجزاء المتعلق بحق الضحية والذي يأمر الله تعالى المجتمع بأخذه من الجاني ، كأحكام دنيوية تُطبَّق في الحياة الدنيا على أفعال أصحاب تلك الجنايات ، كما تذهب جميع تفاسيرنا الموروثة ؟ .. أم يتعلَّق بحق الله تعالى الذي يأخذه الله تعالى من الجاني حسب المبدأ والنية التي انطلق منها الجناة في جنائياتهم ؟ ..

.. بمعنى : هل العقوبات : ( التقتيل ، الصلب ، قطع الأيدي والأرجل من خلاف ،

النفى من الأرض ) ، هل هي أمرٌ من الله تعالى للحاكم بأن يأخذها بحرفيتها من الجناة المحاربين لله تعالى ورسوله ، كجزاء على أفعالهم وكحق للضحايا .. أم أن هذه العقوبات



## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٩

– بهذه الشدة – تصوّر ما يستحقّه الجناة من جزاء عند الله تعالى ، حيث لم يقدرّوا حقّ الله تعالى ، ويجازيهم الله تعالى على نياتهم والمبادئ التي انطلقوا منها في تلك الجنايات .. وذلك .. فيما لو كان الحساب من الله تعالى على ذلك في الحياة الدنيا ولم يُوجَل إلى الآخرة ؟ ..

.. للإجابة على هذا السؤال لا بدّ من الوقوف عند النقاط التالية :

**أولاً** : الجزاء المذكور كعقوبة على تلك الجنايات ، نراه مبدوءاً بكلمة : ﴿ إِنَّمَا ﴾

لحصر الجزاء بالعقوبات المبيّنة .. فالعبارة : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ ..... ﴾ تحصر الجزاء المعني في هذا النصّ الكريم بهذه الحدود دون غيرها .. بمعنى : جزاؤهم محصور بالعقوبات :

﴿ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ ..

وما نراه أنّ الجزاء ﴿ يُصَلَّبُوا ﴾ ، لم يُذكر في كتاب الله تعالى كعقوبة يأمر الله تعالى

بتنفيذها من قبل البشر كجزاء على فعل الجناة ، وكذلك الجزاء ﴿ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ ﴾ ، وذلك بتضعيف القطع ﴿ تُقَطَّعَ ﴾ للأيدي والأرجل معاً ، ومن

خلاف .. فالجزاء على فعل الجنايات في كتاب الله تعالى معلوم ، مثل القتل ، والزنا ،

والسرقة ، وغيرها .. وكلّها ليست بهذه الحيثيّة الشديدة والقاسية التي يُحصّر الجزاء بها ..

.. وهذا يُشير إلى أنّ الجزاء القاسي هذا – بإطاره العام – هو جانب الجزاء المُتعلّق بحقّ

الله تعالى ، والذي يأخذه الله تعالى ولم يُؤكله للبشر ، وذلك فيما لو كان هذا الجزاء من

الله تعالى على تلك الجنايات سيؤخذ في الحياة الدنيا .. بمعنى : لو أنّ الله تعالى سيجازي

المعنيّين في الحياة الدنيا على حقّه هو ، جزاءً موازياً للمبدأ والنّيّة التي انطلقوا بهما في محاربة

الله تعالى ورسوله وسعيهم كمفسدين في الأرض ، لكان هذا جزاءهم المُستحق : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ ..... ﴾ .. بمعنى آخر : لو كان الجزاء على ذلك في الآخرة له إسقاطٌ في هذه

## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٠

الدنيا لكان بهذه الشدة ، كون الخلود في جهنم أقسى بكثير من كل هذه الأحكام القاسية ، كون حقّ الله تعالى - الذي لم يقدره الجناة - كبيراً ..

.. وبالتالي فحصر الجزاء على الجنايات المختلفة والمترافة بمحاربة الله تعالى ورسوله ، بهذه الحدود القاسية التي لم يُذكر حدٌ واحدٌ منها ولو بمقاربة للحدود التي يبيّنها الله تعالى في كتابه الكريم على الجنايات المعروفة ( القتل ، السرقة ، الزنا ، ..... ) .. هذا الحصر .. يؤكد ( مع الأدلة التي سنها في البنود اللاحقة ) أنّ هذا الجزاء الوارد في هذا النصّ الكريم هو الجزاء المتعلّق بالحقّ الإلهي ، المفترض في الحياة الدنيا والموازي لتلك الجنايات المترافقة مع محاربة الله تعالى ورسوله ، فيما لو كان الله تعالى سيجازي على ذلك في الحياة الدنيا ..

.. وهذه الدلالات المحمولة بهذا النصّ الكريم ، والتي تصوّر لنا عظم الجزاء الإلهي من الله تعالى على تلك الجنايات المترافقة لمحاربة الله تعالى ورسوله ، وقساوتها وشدتها ( مقارنة مع الجزاء الذي يُكلّف به البشر ) ، فيما لو كان الجزاء عليها من الله تعالى في الحياة الدنيا ... نرى في قوله تعالى التالي شدة موازية لها :

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [ النحل : ٦١ ]

.. فالجزاء ﴿ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ قاسٍ وشديد ، وهو جزاء مفترض متعلّق بحقّ الله تعالى ، فيما لو آخذ الله تعالى الناس بظلمهم في الحياة الدنيا .. بمعنى : هذا هو الجزاء المستحقّ المفترض المتعلّق بحقّ الله تعالى ، فيما لو جازى الله تعالى الظالمين على ظلمهم في الحياة الدنيا ..

**ثانياً** : العبارة القرآنية ﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ ، تبين أنّ هذا الجزاء المفترض المتعلّق بحقّ الله تعالى ، والمحصور بهذه العقوبات القاسية ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ ﴾ ،

## ﴿ جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي

والموازي - عند الله تعالى وبحقه حلّ وعلا - لحجم بشاعة الجنايات المرتكبة المرافقة لمحاربة الله تعالى ورسوله ، والذي لن يحصل في الحياة الدنيا كون الجزاء المتعلق بأخذ الله تعالى له هو في الآخرة ، هو تبيان لحجم جرائمهم وبشاعتها ، وبأنها تستحق هذه الشدة والقساوة نتيجة بشاعتها ، وبالتالي فيبانه هو خزّي لأصحاب تلك الجنايات .. وتأتي العبارة التالية لها مباشرة لتبين جزاءهم الذي سيلقونه حقيقة في الآخرة : ﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ..

.. كلمة ﴿ ذَلِكِ ﴾ تُشير إلى حصر الجزاء ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُهُمْ ..... ﴾ بالعقوبات المبيّنة في النص : ﴿ يُقْتَلُونَ أَوْ يُصَلَّبُونَ أَوْ تُقَطَّعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَرُونَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ .. وهذا الحصر للجزاء المبيّن لبشاعة تلك الجنايات المترافقة مع محاربة الله تعالى ورسوله ، وذلك في حقّ الله تعالى ، هو : ﴿ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ .. الخزي هو إلزام الحجّة ، ووقوع الهوان والفضيحة والاستحياء ..

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُرْعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَرُوا هَتُولَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي صَيفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [ هود : ٧٨ ]

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ صَيفِي فَلَا تَفْضَحُونَ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴾ [ الحجر : ٦٧ - ٦٩ ]

.. ولو نظرنا في كتاب الله تعالى إلى كلمة ﴿ خِزْيٌ ﴾ لرأيناها ترد ( ١١ ) مرّة ، كلّها تصف خزياً لبعض البشر ، فاعله الله تعالى وليس البشر .. ولننظر في النصوص الأخرى غير النصّ الذي بين أيدينا :

﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٢

﴿ ..... أَفْتُوْمُونَ بَبْعِصِ الْكُتْبِ وَتَكْفُرُونَ بَبْعِصِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِوَمِ الْقِيَمَةِ يُرْدُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [ البقرة : ٨٥ ]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [ البقرة : ١١٤ ]

﴿ ..... وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [ المائدة : ٤١ ]

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [ التوبة : ٦٣ ]

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [ يونس : ٩٨ ]

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [ هود : ٦٦ ]

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [ النحل : ٢٧ ]

﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٣

﴿ ثَانِي عِطْفِيهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [ الحج : ٩ ]

﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[ الزمر : ٢٦ ]

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [ فصلت : ١٦ ]

.. وكذلك الصيغة : ﴿ خِزْيٌ ﴾ ، نراها أيضاً تصف خزيًا للبشر ، فاعله الله تعالى :

﴿ فَسَيَحُورُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي

الْكَافِرِينَ ﴾ [ التوبة : ٢ ]

.. إذا الصيغ غير الفعلية كلها تصف خزيًا للبشر فاعله الله تعالى ، ولا تصف خزيًا

فاعله البشر ، ولا خزيًا ناتجًا عن عقوبات يقوم بها البشر ..

من هنا نرى أن إدراكنا لمفهوم الخزي في العبارة : ﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾

، لا يخرج عن إطار خزيٍ للمعنيين بالنص ، فاعله الله تعالى ، وليس البشر ، وليس

عقوبات ناتجة عن فعل البشر .. ومن هنا نرى أن حصر الجزاء ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ ..... ﴾

الوارد في هذا النص الكريم ، بأمور قاسية جداً ، هي فوق كل العقوبات الواردة في كتاب

الله تعالى والتي يأمر الله تعالى الحاكم بأخذها من الجنة .. هذا الحصر .. هو فضح لبشاعة

أعمال محاربي الله تعالى ورسوله ، الساعين في الأرض فساداً ، وبالتالي هو إلزام الحجة

عليهم ، وإيقاع الهوان والفضيحة بهم .. وهذا هو عين دلالة الخزي في كتاب الله تعالى :

﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ ..

**ثالثاً** : مما يؤكد أن الجزاء المعني في هذا النصّ الكريم على تلك الجنايات ، هو جزاء مُفترضٌ مُتعلقٌ بحقّ الله تعالى وبجزاء الله تعالى عليه ، فيما لو كان لهذا الجزاء في الآخرة إسقاطٌ موازٍ في عالم الدنيا ، وليس أمراً من الله تعالى للحاكم بأن ينفذه - بهذه الحيثية - كعقوبة متعلّقة بحقّ المجني عليه .. ممّا يؤكّد ذلك .. هو الآية الكريمة : ﴿ إِلَّا

الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .. فهذه

الآية الكريمة تقول : يسقط الجزاء المفترض عن الجاني ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ ﴾ ..... في حال

تاب طواعية من نفسه ، وليس بعد الإمساك به ..

.. كما قلنا .. العقوبة الدنيوية على الجنايات المرتكبة بحقّ البشر ، لا تسقط بتوبة

الجاني ، فما يسقط بتوبة الجاني هو الجزاء عند الله تعالى والمتعلّق بحقه جلّ وعلا ، والعبارة

القرآنية ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ تصف فيما تصف جنایات يقوم بها هؤلاء ..

فالقاتل سيحزى بجنايته سواء تاب أم لم يتب ، وكذلك الزاني ، وكذلك السارق .. بينما

ما نراه في الجزاء المعني بهذا النصّ الكريم هو سقوطه عن الجاني في حال التوبة ، وهذا

يؤكد أنه جزاء مُفترض من الله تعالى مُتعلقٌ بحقه جلّ وعلا ، لتبيان حجم جريمة تلك

الجنايات ، وما تستحقّه في حالة مُفترضة هي الجزاء الموازي لها من قبل الله تعالى ، فيما لو

كان هذا الجزاء سيأخذه الله تعالى من الجاني في الحياة الدنيا ..

.. فكون التوبة الصحيحة نتيجة الرجوع إلى الله تعالى قبل الوقوع بقبضة العدالة ،

تُسقط الجزاء الوارد بهذا النصّ الكريم ، يقتضي ذلك أن هذا الجزاء ليس أمراً للحاكم

بأخذه كعقوبة دنيوية على الجنايات المرتكبة ، فالجنايات المرتكبة بحقّ الناس لا تسقط

بالتوبة ، فضلاً عن كون الحاكم لا يستطيع أن يفتح قلب الجاني ليعلم صدق توبته من

عدمها .. وهذا يؤكد أن الجزاء المعني في هذا النصّ الكريم هو تصوير للجزاء المُستحق في

الحياة الدنيا من الله تعالى ، فيما لو كان هناك إسقاط لعقوبة الآخرة في الحياة الدنيا ..

﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٥

**رابعاً :** في العبارات القرآنية الحاملة للجزاء المفترض المتعلقة بحق الله تعالى والمُصوّر لما يستحقّه الجنّة فيما لو عاقبهم الله تعالى في الحياة الدنيا ، نرى صيغة المبني للمجهول في كلّ الأفعال المُصوِّرة للعقوبات المفترضة الموازية لبشاعة جناياتهم من زاوية حقّ الله تعالى :  
[[ **يُقْتَلُونَ** ، ، **يُصَلَّبُونَ** ، ، **تُقَطَّعُ** ، ، **يُنْفَوْنَ** ]] .. فالوصف لم يأت بصيغة الأمر كما هو في جزاء عقوبي السارق والزاني ، أو بصيغة أمر كتبه الله تعالى على المُكلفين ..

﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ  
وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى ﴾ [ البقرة : ١٧٨ ]

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴾ [ المائدة : ٣٨ ]

﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ﴾ [ المائدة : ٤٥ ]

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي  
دِينِ اللَّهِ ﴾ [ النور : ٢ ]

.. فصيغة المبني للمجهول : [[ **يُقْتَلُونَ** ، ، **يُصَلَّبُونَ** ، ، **تُقَطَّعُ** ] ،  
[[ **يُنْفَوْنَ** ]] تتعلق بكون الجزاء مُفترضاً ، وليس أمراً مباشراً يطلب الله تعالى من البشر تنفيذه .. بينما .. في حالة التوبة قبل الإمساك بهم ( حيث هناك عقوبات دنيوية على ذات الجنايات كما بيّنا ) ، لا شك أنّ هذه التوبة خالصة لوجه الله تعالى ، وليست نتيجة الوقوع بأيدي العدالة من البشر المُكلفين بتنفيذ الجزاء المُتعلق بحقّ الضحية ، وحسب

## ﴿ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٦

ما يبين كتاب الله تعالى ويأمر صراحة بأخذها في أماكن أخرى من كتاب الله تعالى .. في تصوير هذه الحالة .. نرى صيغة المبني للمعلوم ، حيث يعود فعل الإمساك بهم للبشر المكلفين بأخذ الجزاء على ذات الجنايات ، ولكن من جانب حق المحني عليه : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ..

.. مدعي التوبة رياءً وخوفاً من العقوبة ، ما يهّمه هو البشر ، والمكلف بمعاقبته ( وفق العقوبات الواردة في نصوص أخرى وليس في هذا النص ) هو البشر ، لذلك ، إن تاب دون الإمساك به ، فتوبته هي لوجه الله تعالى ، وهي صادقة ، والله تعالى يعلم ذلك .. وتأتي العبارة التالية مباشرة ، لتؤكد أنّ الأمر يتعلّق بالله تعالى ، وليس بتكليفه للبشر : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .. فالله تعالى لم يقل - على سبيل المثال لا

الحصر - : ( فاعفوا عنهم ) .. إنّما يقول جلّ وعلا : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، لأنّ الجزاء المفترض المعني في هذا النصّ الكريم فاعله الله تعالى ، وليس البشر ، ومن يغفره هو الله تعالى العالم علماً مطلقاً بصدق توبة التائب .. وما يريد الله تعالى ممّا هو علم ذلك ، وليس أخذ الجزاء : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ..

**خامساً** : ممّا يؤكّد صحّة ما نذهب إليه من أنّ الجزاء هو مسألة مفترضة متعلّقة بحقّ الله تعالى وليس بحقّ المحني عليه ، وتصوّر حجم جريمة تلك الجنايات وجزاءها المفترض الموازي لها ، في حال أخذه الله تعالى من الجاني في الحياة الدنيا .. ممّا يؤكّد ذلك ، هو الآية الكريمة السابقة مباشرة لهذا النصّ الكريم ..

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ



﴿ ٣٣ ﴾ إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ ٣٤ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ [ المائدة : ٣٢ - ٣٤ ]

.. فالجناية ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، تبين جريمة قتل نفسٍ

واحدة ، وهذه الجريمة يُشبهها الله تعالى بجريمة قتل جميع الناس : ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جَمِيعًا ﴾ .. وهذا ليس أمراً إلهياً للحاكم بأن يجازي بذلك ، بمعنى : أن يجازي من قتل

نفساً واحدة كمن قتل جميع الناس ، إنما هو تبيان لعظم جريمة قتل النفس ، وأنها عند الله تعالى وبحقّه - كخالق للنفس - توازي قتل الناس جميعاً .. وكذلك الأمر فيمن يجبي نفساً واحدة ، فأحياء نفس واحدة هو عند الله تعالى وبحقّه - كخالق للنفس - كإحياء الناس جميعاً .. وكلُّ ذلك تشبيه وتبيان لحقيقة جريمة قتل النفس ، ولحقيقة إحيائها ، وليس أمراً إلهياً للبشر بالمعاقبة على أساس هذا التبيان ..

.. النصُّ الذي بين أيدينا يلي هذه الآية الكريمة مباشرة ، وهو في ذات السياق ، ليبيّن

الجزاء المفترض المتعلق بحقّ الله تعالى ، فيما لو كانت العقوبة من الله تعالى مباشرة ويأخذها جلّ وعلا في الحياة الدنيا .. وبالتالي فالجزاء : ﴿ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ ليس أمراً من الله تعالى للبشر

ليعملوا به كعقوبة على الجنايات التي يقوم بها بعض البشر ، كما بيّنا ..

.. بعد هذا البيان الدلالي الذي رأيناه .. كم هو الفارق بين تقديم دلالات العبارات

القرآنيّة : ﴿ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ

﴿ الْأَرْضِ ﴾ على أنها أمرٌ من الله تعالى للمجرمين الذين يحسبون أنفسهم مُوكَّلين من الله تعالى بوكالة غير قابلة للعزل ، بأن يفعلوا ذلك بالآخرين المختلفين معهم فكراً وعقيدة ومذهباً ، وبين تقديم دلالتها على أنها تُصوِّر حجم جرائم محاربة الله تعالى ورسوله وما يرافقها من جنایات ، وذلك عند الله تعالى وبحقّه جلّ وعلا ، حيث يستحقّون من الله تعالى ( وليس من البشر ) هذه العقوبة الدنيويّة ، فيما لو كان هناك إسقاطُ لجزاء الآخرة في هذه الحياة الدنيا ؟ ..

.. غياب دلالات النصوص القرآنيّة عن الأجيال المتلاحقة ، ناتجٌ عن جعل الموروث التفسيري منظراً وحيداً لا تُرى دلالات كتاب الله تعالى إلّا من خلاله ، وعن منع حرّيّة التفكير والتدبّر في نصوص آيات كتاب الله تعالى ، وليس ناتجاً عن صعوبة في فهم نصوص كتاب الله تعالى ، فكتاب الله تعالى يسرّه الله تعالى للتفكّر والتدبّر لمن يريد ذلك ..

﴿ وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [ لقمر : ١٧ ]

.. بالتأكيد .. مشكلة الجاحدين بدلالات كتاب الله تعالى ، ليس سببها كتاب الله تعالى الذي يسرّه جلّ وعلا للذكر ﴿ وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ .. بالتأكيد مشكلتهم أنّهم لم يعملوا بقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ..

.. الفهم الخاطئ ( عن نيّة هي بالتأكيد ليست نقيّة ) لدلالات هذا النصّ الكريم ، ولغيره من بعض نصوص كتاب الله تعالى ، هي موافقة كاملة لشاكلة الكافرين في مخاطبتهم لرسولهم :

﴿ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [ إبراهيم : ١٣ ]

.. الفهم الخاطئ ( عن نيّة هي بالتأكيد ليست نقيّة ) لدلالات هذا النصّ الكريم ، ولغيره من بعض نصوص كتاب الله تعالى ، هي موافقة كاملة لشاكلة أبي إبراهيم ( عدوّ الله تعالى ) في مخاطبته لإبراهيم عليه السلام ﴿ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ ﴾ [ مريم : ٤٦ ]

.. كيف لنا أن نتوقع فهماً سليماً لدلالات هذا النصّ الكريم ، ممن يؤمن بالرواية التالية أكثر من إيمانه بكتاب الله تعالى ، ويعتبرها تفسيراً لآية من آيات كتاب الله تعالى ، معتقداً أنّها تبيح له اغتصاب نساء الآخرين ، لأنهم آخرون ، متجاوزاً الحدّ الأدنى من مفردات القيم النبيلة التي فطر الله تعالى الناس عليها :

مسلم ( ٢٦٤٤ ) حسب ترقيم العالمية :

و حَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ أَصَابُوا سَبِيًّا يَوْمَ أُوطَاسَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فَتَخَوَّفُوا فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ

أحمد ( ١١٢٦٦ ) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عُثْمَانَ الْبَتِّيِّ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ أَصَبْنَا نِسَاءً مِنْ سَبِيٍّ أُوطَاسٍ وَلَهُنَّ أَزْوَاجٌ فَكَرِهْنَا أَنْ نَقَعَ عَلَيْهِنَّ وَلَهُنَّ أَزْوَاجٌ فَسَأَلْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قَالَ فَاسْتَحْلَلْنَا بِهَا فُرُوجَهُنَّ

.. هل من الممكن لمن يعتبر الحديث التالي ( وشرح النووي له ) ديناً يتمُّ به التقرب إلى الله تعالى ، أن تكون عنده إرادة صادقة وقلب سليم يتدبّر به كتاب الله تعالى :

مسلم ( ٣٢٨١ ) حسب ترقيم العالمية :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَعَمْرُو بْنُ النَّاقِدِ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَنَادَةَ قَالَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَبِيئُونَ فَيَصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَدَرَارِيهِمْ فَقَالَ هُمْ مِنْهُمْ

.. وفيما يلي نصٌّ من شرح هذا الحديث من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي :

[[ .... وهذا الحديث الذي ذكرناه من جواز بياتهم وقتل النساء والصبيان في البيات

، هو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة والجمهور . ومعنى ( البيات ، ويبيتون ) أن يغار عليهم بالليل بحيث لا يُعرف الرجل من المرأة والصبي . وأما ( الذراري ) فبتشديد الياء وتخفيفها لغتان ، التشديد أفصح وأشهر ، والمراد بالذراري هنا النساء والصبيان .

وفي هذا الحديث : دليل لجواز البيات ، وجواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة من غير

إعلامهم بذلك . وفيه : أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم . [[

.. وأتوجه لكلِّ عاقل في هذا العالم ، فأقول له : هل من الممكن لمن يعتقد بصحة

الرواية التالية ، أن يستطيع إدراك دلالات كتاب الله تعالى بشكلٍ سليم :

البخاري ( ٢٤ ) حسب ترقيم العالمية :

..... عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ

حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا

فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

البخاري ( ٣٧٩ ) حسب ترقيم العالمية :

..... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ

النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلُّوهَا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوهَا قِبَلَتَنَا وَدَبَّحُوا

دَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرَمْتُ عَلَيْنَا دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ .....

مسلم ( ٣١ ) حسب ترقيم العالمية :

..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ

حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي

دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

.. وهل من الممكن لمن يعتقد بصحة الرواية التالية ، أن تكون عنده إرادة لإدراك

دلالات كتاب الله تعالى :

مسلم ( ٤٩٧١ ) حسب ترقيم العالمية :

..... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

بذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.....

مسلم ( ٤٩٦٩ ) حسب ترقيم العالمية :

..... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ

مسلم ( ٤٩٧٠ ) حسب ترقيم العالمية :

..... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ

النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا قَالَ فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ أَنْ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَلَفَ لَهُ.....

.. ننتظر الإجابة ممن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..